

فعليك السلام عند وداع نثره ضامى عرف نثر الحزام
وعلى القادر السلام ابتداء وعلى اهليه اتى في الختام

دوام البتولية المريمية

بقلم القس بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان بعلب

ما زالت النصرانية تحافظ على معتقد دوام بتولية ام الله شرقاً وغرباً كما تسلتة من الرسل الابرار وتشهد عليه آثار القرون الاولى بعد الميلاد حتى قام في الجليل الرابع هليديوس المبتدع وادعى ان البتول الطاهرة بعد ولادة ابن الله الكامة قدت بكارتها واولدت من يوسف اولاداً

فما نطق هليديوس بهذا الزعم الفاسد حتى اخذت الحية المؤمن عموماً وآباء الكنيسة خصوصاً فتصدروا لمن تلم بلسانه الشرير شرف البتول مريم وقتدوا قوله بحجج دامغة نسفت البدعة نسفاً فلم تبق لها اثر. ومن تصفح أقوال الآباء في دحض الكافر يدرك من وقته ما اثارته تلك المرطقة في قلوب المسيحيين من ثوائر النور والبغض. فان اورديجانس كان سبق ودعاها جنوناً وضها القديس امبروسيوس بالنفاق والقديس ايفان بجمارة منرطة ونجديف صريح وفيلسترجيوس بكفر لا يطاق. فلا بدع اذا كسدت حينئذ سوق هذه الشيعة المستحدثة وتلاشت مع مبدعها

غير ان هذه الحيفة المتنة أبت ان تبقى في قبرها فعاد اهل الاصلاح المروم واحيروها من دمها في القرن السادس عشر مع ما بشرنا من الاقاويل الفسطية والترهات النسبية

وان سأل البائل ماذا حمل لوتاروس واشياعه على نكران هذه الحقيقة. أجبتنا ان هذا الراهب بعد نبذه نذر العفة واطلاقه المنان لشهوات قلبه احب ان يناضل عن صنيمه ليحتمه في عين الجمهور فتكر فضل البتولية على الزواج كما تعتقد الكنيسة بذلك. ولما كانت بتولية العذراء من اقوى الحجج لتأييد قول الكاثوليك ويان شرف البتولية التي زين بها الله والدته الطاهرة احب ان يجيي بدعة هليديوس ويقتد الى سفاسفه الباطلة اثباتاً لرايه. وقد قام الكاثوليك بازاء لوتاروس كما فعل اجدادهم امام

هليلديوس وابطلوا قوله وقول اضارده . وما كنا نحن لنعود الى تنفيذ هذه البدعة لملنا ان كثيرين من البروتستانت يقولون اليوم بقولنا ويكرمون البتول اكراما عظيما لو لم نزل بعضا من دعواتهم في بلادنا ينفرون البسطاء ويصرون في نشرتهم الاسبوعية سهام الطمن الى هذه العقيدة فاردنا ان نجتمع في هذه التبعة الموجزة انحص البراهين التي تنفي قول المتدعين وتثبت ايمان كنيسة الله ثم زدنا على الاعتراضات التي لاذ بها اهل الضلال لتأييد زعمهم القاسد

١

١ واول برهان تأتينا به لبيان بتولية العذراء بمد ولادتها كما كانت بتولا قبل ولادة المسيح وفي ولادته التقليد العام التواصل المتوفى الشروط الذي يجمل هذه الحقيقة واسخة على صخرة هيات ان ترزعها ربح اللد والكابرة . فيا ترى كيف قدرت هذه الحقيقة ان تنتشر في كل بلاد العالم في جميع الكنائس الشرقية والغربية معا بلا استثناء . وليس قط عند الكاثوليك بل في كل الكنائس البنيوية عنها لو لم تكن هذه الحقيقة مرتقية الى الرسل اخذوها قبل انفصالهم من مصدر واحد واستقوها من ينبوع واحد لم تعبره آراء المتدعين

وان قال الخصم انه تعلم مستحدث سألناه من محترعه وكيف ادخله في اعتقاد جميع المسيحيين دون ان يتعرض له احد . بل رأينا بخلاف ذلك كل المؤمنين نبذوا رأي هليلديوس ظهريا في اول بروزه . اقليل هذا دليلا كافيا على ان الكنيسة في القرون الثلاثة التي سبقت زمن هليلديوس كانت تعتقد بدوام بتولية العذراء . أف تكون كنيسة المسيح شردت عن الحق في اجيالها الاولى خلافا لمواعيد المسيح عن ثباتها وخلافا لرأي البروتستانت انفسهم

ولعل الخالفين يقولون ان هذه القضية مستندة الى التقليد ونحن لا نرضى بالتقليد لنادوه . اردنا قولنا : أتتكرون كل تقليد او بضه قط . فان قالوا : رفضه كله . اجنا انكم بذلك تبطلون كل الحوادث التاريخية كوجود الاسكندر وفتوحات الرومان واكتشاف اميرة لانها كلها مبنية على التقليد . وان قالوا : رفض بعض التقليد ونقبل بعضه . سأنا ما هو التقليد المقبول أليس هو التقليد ذا الشروط التامة المبني على شواهد قديمة صادقة ؟ فاسمري اي حادث تاريخي جمع فيه هذه الشروط كتقليد بتولية العذراء .

الدائمة فترى الشهود عليه حائزين اعظم ثقة مع كثرة عددهم واختلاف بلادهم وازدهرتهم وترعاتهم ومذاهبهم. فنشدتك الله أنكذب النصرانية كلها مدة تسعة عشر جيلاً وضاند في الحق جهابذة العلم والدين اعني آباء الكنيسة واولياءها القديسين وشهداءها الابطال لتصدق هليديوس ولوتاروس. فليحكم الحكم المنصف

٢ البرهان الثاني بنى على مبدأ يقبله كل ذي عقل سليم وهو ان مريم العذراء هي ام الله (كما يسم بذلك اشياح الاصلاح الموهوم) فلا بد اذن ان يوعز اليها كل ما هو افضل في النظام الاديبي واكمل في حدود الخلق. والنتيجة واضحة وان كنت في ريب من صحتها أتيتك بشهادة لا يمكن البروتستانت انكارها ألا وهي شهادة زعيمهم لوتاروس نفسه قال في شرحه نشيد البتول العذراء (ك ٩ ص ٨٥ من طبعة ويتسبرج سنة ١٥٥٤) قال: « بناء على ذلك (اعني كون مريم ام الله) قد وهبا الله هذا القدر من الحيات الشريفة الفاتحة كل ادراك. لأنه من ذلك ما أتيا كل شرف وغبطة بحيث اضحت في الجنس البشري شخصاً فريداً تلو فوق اجيبع ولا يساويها احد اذ قد اشتركت مع الآب باين كهذا... فكل شرفها تتضئنه هذه الكلمة وحدها « ام الله » ومن يقدر ان ينعثها او يصغرها بابلغ من ذلك ولو كانت له من الألسن ما للأرض من الزهور والنبات والسماء من النجوم وللبحر من الرمال » انتهى قول لوتاروس الذي بين جلياً مبدأ السابق انه يحق ان ينسب للبتول كل ما هو اشرف وافضل. والحال انه أفضل لشرف مقام مريم ان تبقى بتولاً لأن البتولية وفقاً لقول بولس الرسول (١ قورنثوس ص ٢) خير من الزيجة. فاخذ لا بد من القول ان مريم حافظت على بتوليتها الدائمة ومن قال خلاف ذلك يشين شرف العذراء الطاهرة وينسب اليها الدناءة كأنها بعد ان تشرفت بأن صارت والدة الله لم تحفل باين اشتركت به مع الآب الساري حتى ابتغت لها غيره. وفي ذلك من العار ما لا يرضى به للعذراء لوتاروس نفسه

ولنا في كتب لوتاروس شهادات أخر نستنتج منها ان العذراء لم يُمكنها ان تتصدق بتوليتها. قال المذكور في تأليفه المدعو « كيركنوس تيل » (طبعة ولش في هال سنة ١٧٤٥ المجلد ١١ ص ٢٦١٦) ما تعريبه الحرفي: « جميع البشر حبل بهم بالخطية نقسا وجداً ألا المسيح... أما العذراء مريم فقد حبل بها بالجسد بلا نصبة ولكن بالنفس مفعلة من النعمة وهذا معنى قول الملاك جبرائيل لها: مباركة انت بين النساء. فلما كانت

تحت اللعنة لا جاز ان يُقال لها: انت مباركة. ولقد كان من باب العدل ان تُصان هذه المرأة من الخطيئة لأن المسيح كان مزمعاً ان يتخذ له منها جسداً به ينتصر على كل خطيئة. وكل ما هو مزمع بالنعمة الالهية يدعى مباركاً وهذا هو معنى قولنا بدران خطيئة... انتهى قوله. وعليه نبني هذا البرهان ان كان يحق للبتول على قول لوتاردوس ان يُجبل بها بلا خطيئة وهو امرٌ تفردت به بين جميع البشر أفليس هو احرى بها ان تبقى بتولاً على الدوام كما بقي كثيرٌ من النساء غيرها وهي تفضلهن جميعاً. فما قول البروتستانت ؟

٣ البرهان الثالث - اخبر لوقا البشير ان المذوا - مريم لما بشرها الملاك بانها تحبل وتلد ابناً اضطرت واعترضت قائلة: « كيف يكون هذا انا لا اعرف رجلاً » فهل من دليل اوضح على أنها كانت مصمتة في قلبها ان تحفظ بتوليتها حتى نبي الزيجة وطول حياتها. ولكي تتف على حقيقة وقوة هذا البرهان عليك ان تعتبر ان البتول قالت ذلك وهي مقترنة بيوسف البنائز بزيمة شرعية. ولا بأس من قول الانجيلي أنها كانت مخطوبة لرجل لمسه يوسف. لأن الخطية عند اليهود كانت تحول الرجل كل حقوق الزيجة حتى قبل ان ترف اليه خطيئته وهذا يظهر واضحاً من سفر تثنية الاشتراع (٢٠: ٧ و ٢٣: ٢٣ - ٢٨) ومن كلام القديس لوقا نفسه (٥: ٢) حيث تدعى مريم « امرأة يوسف المخطوبة » ومن قول متى (١٩: ١٠ - ٢٠) وفيه دعا يوسف « رجل مريم » ومريم « زوجة يوسف » وذكر « تحليتها » وكل ذلك قبل ان يذكر في العدد ٢٤ ان يوسف « اخذ زوجته » فصحّ اذن ان مريم كانت عند ظهور الملاك لها « زوجة ليوسف » فان كان ذلك كذلك ما معنى اعتراضها على الملاك واضطرابها لدى اسمائها منه انها تحبل وتلد ابناً وقولها « اني لا اعرف رجلاً » أليس كل ذلك دليلاً يتأ على انها لم تقترن بالزيمة لتسمها يوماً وانها قصدت قصداً ثابتاً ان تبقى بتولاً الى آخر حياتها حتى بعد الزيجة. فبكل صواب استنتج الآباء من كلام مريم للملاك انها كانت قد تدرت بتوليتها لله قبل الزيجة ولا يفهم قولها معنى إلا اذا سلمنا بذلك

هذا ومن اعتبر الغاية من زيجة مريم ويوسف العجيبة التي صرح بها الملاك لموسى (متى ١: ٢٠ - ٢١) يرى واضحاً ان هذه الزيجة الشرعية لم يذبحها الله لاجل النسل بل ليكون يوسف حامداً لبتولية مريم ومميئاً لها في تربية ابنها الالهي لا غير. وان كان الامر

هكذا فلا يمكن ان تكون بتولية مريم الأ دائمة
 البرهان الرابع - نأخذ من دلائل شتى اوردتها الآباء. تبطل قول المبتدعين
 وتجملة مناقياً للعقل . قال لم الذهب: " انه غني عن البرهان بان ذلك الصديق (يريد
 يوسف) لم يجسر ان يمس تلك التي عرف انها صارت اماً بنوع الهي وتشرفت بولادة
 عجيبة كهذه "

وقال القديس ايرونيوس يحاج هليديوس: " وخلاصة الكلام اني ابا لك : لماذا
 امتنع يوسف (من طلب حقوق الزيجة) الى يوم الولادة ؟ لا شك انك تجواب : لانه
 سمع الملاك يقول له ان المولود منها هو من روح القدس . نعم الجواب . ولكن ان كان
 يوسف لمجرد ايمانه بالروية لم يجسر ان يعرف زوجته أفيكون تجاسر بعد ذلك ان يقترب
 الى هيكل الله ومقر الروح القدس ووالدة ربه بعد ان عرف من الرعاة بان ملك الرب
 ترل من السماء . وقال لهم : وُلد لكم مخلص المسيح الرب ومعه جنود سماوية تنشد
 بالتسايح وبعد ان رأى سمعان الشيخ بان صفات الطفل يسوع وهو بين ذراعيه وبعد ان
 شاهد حنة النبية والمجوس والنجم وهيرودس والملائكة وعجائب لا يحصرها عدد ؟ "

ومثل القديس ايرونيوس تكلم جميع الآباء . وقد لخص شمس المدارس القديس
 توما اللاهوتي براهينهم في خلاصته اللاهوتية في الفصل الثالث من البحث ٢٨ من
 القسم الثالث : " انه حقيق بان يُرذل بلا ريب خلال هليديوس الذي تجاسر ان يزعم
 بان يوسف عرف ام المسيح بعد ولادتها فاولدت مريم اولاداً أخر غيره . اولاً لان هذا
 القول يخل بكمال المسيح لانه كما ان المسيح بحسب طبيعته الالهية ابن الله الوحيد
 لكونه ابنه الكامل بكل شيء . فهكذا كان حقيقاً ان يكون وحيد امه لكونه ابنها
 الكامل بكل شيء . ثانياً لان هذا الضلال يبين الروح القدس الذي جعل احشاه مريم
 كقدس ليصور به جسد المسيح وما كان ليسح لرجل ان يهتكه بالجماعة . ثالثاً يشين
 بتمام والدة الله وقداستها اذ ينبي عن نكران جميل جسم فيها حيث لم تكف باين
 كهذا وأذلت نفسها حتى قدمت بكاراة حفظها الله فيها بنوع عيب . رابعاً لكان ينبغي
 ذلك الى جسارة عظيمة في يوسف لو حاول ان يدنس تلك التي عرف بوحى الملاك انها
 حبلت من الروح القدس . ولهذا يجب القول على الاطلاق بان ام الله كما حبلت وهي
 عفراء وولدت وهي كذلك لبثت بتولاً الى الابد بعد الولادة

بقي علينا ان ندحض الاعتراضات التي يوردها الاخصام لإثبات قولهم وهي ثلاثة يأخذونها من الانجيل ويزعمون أنها تبطل حقيقة دوام بتولية العذراء.
وقبل الجواب عليها نلاحظ: أولاً أن الانجيل الطاهر كُتب قبل ظهور البروتستانت بألف وخمسة مائة سنة فلو كان فيه شيء ينافي دوام بتولية العذراء فالحجب أن المسيحيين القدماء لم يعارضوه وزاهموا بالعكس يدافعون عن هذه الحقيقة ويرذلون من ينكرها.
ثانياً أن من اراد مطامنة كتاب قديم كما هو الانجيل ويريد شرحه لا بُد أن يراعي اصطلاحات الزمان الذي كُتب فيه وعادات الشعب الذي قام بينه الكاتب ولا يجوز له ان يفهمه على نسق الاصطلاح الحاضر. ولما كان المسيحيون القدماء اقرب الى زمن المسيح والرسل ترتب القول بانهم ادركوا معنى الانجيل احسن من البروتستانت الذين قاموا بعد عهد اولئك المسيحيين بزمن طويل. فاذا فهمت ذلك قلنا:

ان (الاعتراض الأول) الذي حاول اخصام بتولية العذراء ان يتخذوه حجة لزعيم وجدده في قول الانجيلي متى (٢٥: ١) عن يوسف « انه لم يعرف مريم حتى ولدت ابنها البكر » فزعموا ان قوله « حتى ولدت » دليل على ان يوسف عرفها بعد ولادة ابنها. لكن هذه النتيجة باطلة: اولاً لان غاية الانجيلي في هذا المكان ان يعلنا ان مريم كانت عذراء قبل الولادة وان ابنها يسوع من الروح القدس لا من يوسف. فهذا هو الضلال العظيم الذي كان يجب على الانجيلي ان يسبق ويستدركه ففعل بقوله ان يوسف لم يعرفها « حتى ولدت » فرد بذلك رهم اليهود والملحدون واستشهد بأية اشعيا القائل ان العذراء تحبل وتلد عذرا. اما كون يوسف عرفها بعد الولادة فذلك لم يمكن ان يخطر على عقل مستقيم فلماذا لم ير القديس متى حاجة الى التنويه به لاسيا انه كتب انجيله لليهود الذين كانوا شهوداً عيانين على الامور التي كتبها وكانت مريم بعد في قيد الحياة ويعرف الكل انها باقية عذراء. فلم يكن ليخيفه ان ينتجوا من عبارته ما ينتج البروتستانت. ثانياً كذا فهم الآية قدماء الآباء. قال القديس ايرونيوس: قوله « لم يعرفها حتى ولدت » لا يدل على كون يوسف عرفها بعد ولادة ابنها. وانما اراد فقط انه لم يعرفها قبل. ثالثاً ولنا في الكتاب الكرم امثال عديدة منها قوله (تكوين ٨: ٧) عن القراب انه لم يرجع الى سفينة نوح « حتى نشفت المياه » فن يستنج من ذلك انه رجع بعد ما نشفت. وقوله

في الزامير (١:١٠٦) عن المسيح انه ينبغي ان يملك حتى يضع اعداءه موطناً لتقديمه .
 فهل يؤخذ من ذلك أنه لا يملك بعد انتصاره على اعدائه . وامثال ذلك كثيرة (راجع
 ٢ ملوك ٦: ٢٤ والمزمور ٧١: ٧) . وابعاً لا تشمل دائماً لفظة « حتى » او ما يناسبها
 للدلالة على قطع حكم ما قبلها عما بعدها . وذلك خصوصاً في اللغة العبرانية واللغات
 السامية . أفلا نقول مثلاً ان زيدا كان مثابراً على الدرس تقياً ورعاً منذ نعومة اظفاره
 « حتى كهولته » أفذلك يظل كونه لم يثابر على الدرس والتقى بعد الكهولة . قال القديس
 ابرونيموس ينازع هليديوس : اذا قلنا ان هايدويوس لم يُتَب حتى مات أفصبح القول
 انه تاب بعد موته ؟

(الاعتراض الثاني) اخذه الاخضام من نص متى السابق ذكره من لفظة « بكر »
 في قوله « حتى ولدت ابنها البكر » فيزعمون ان لفظة « بكر » تفترض اخوة للمسيح .
 وعليه فلا يصح القول بان مريم دائمة البتولية . لكن هذا القول مردود كالسابق لان لفظة
 البكر تطابق على اول البنين سواء كان له بعده اخوة او لم يكن . قال القديس
 ابرونيموس في تفنيد هليديوس : « اعلم ان البكر ليس هو فقط من بعده غيره بل
 ايضاً من ليس قبله احد » . وان كان هذا النص الانجيلي هو الاصيلي (لانه يُقرأ في
 بعض الترجمات « ابنها الوحيد » بدلاً من « ابنها البكر ») فبقوله « ابنها البكر » قد
 مئى ان يشير الى ان مريم كانت عذراء لا ارملة »

وتزويد الاسفار المقدسة شرحنا للفظه البكر وهي كثيراً ما روتها بهذا المعنى . أفلا
 ترى ان الله اوصى ان يُقرب له كل بكر (خروج ١٩: ٣٤ وعدد ١٨: ١٥) ثم دسح
 بمراده فقال ان البكر هو كل ذكر فاتح رحم . فان كان البكر هو فقط الذي له اخوة
 كما يزعم البروتستانت لاقتضى الامر ان لا يُقرب البكر حالاً بل يُنتظر حتى يتبعه اخ
 بعده فان ولد قرب الاول والأولاد . فترى الى اي نتيجة يبلغ اهل السفطات في
 معاندة الحقيقة

بقي علينا حل (اعتراض ثالث) على بتولية العذراء وهو ما ورد في الانجيل عن
 « اخوة الرب » فيزعم الاخضام ان هؤلاء الاخوة ولدوا لمريم من يوسف بعد ولادة
 المسيح . فجوابنا على هذا الاعتراض انه لاسر معلوم عند كل من له إلمام بالكتاب
 المقدس وباصطلاح اللغة العبرانية بل بمادات الشرقيين مطلقاً ان اسم الاخ والاخت لا

يُطلق قَطْط على المولودين عن اب واحد وام واحدة بل ايضاً على كل من كان من عشيرة
 وُصَلب واحد وخصوصاً اولاد الاعوام . فاذا راجعت مثلاً سفر التكوين (١٦: ١٤) ترى
 لوطاً يُدعى اخا ابرهيم وهو ابن عمه كما يظهر هناك . وامثال ذلك عديدة (راجع تك
 ١٣: ١٣ و ٢٨: ٢٤ و ١٢: ٢٩ - ١٥ و ٢ ملوك ١٠: ١٣) فلا ينتج من ذكر الانجيل لآخرة
 ان الرب ان مريم أُولدت غير ابن الله

وهنا كان بوسعنا ان نبين من الادلة العقلية والنقلية بل من نفس الانجيل ان الاربعة
 (يعقوب ويوسف او يوسفي وسمعان ويهوذا) الذين ذكروهم مرقس (٣: ٦) باسم آخرة
 الرب ليسوا في الحقيقة الأبناء اعمام غير ان ذلك يقتضي فضلاً مطوّلاً لا يسمح بايراده
 هذه المرأة ضيق المكان . ونكتفي بان نجعل القراء الى ما جاء في المشرق في ردوه على
 من زعم بان هؤلاء كانوا اولاداً ليوسف من امرأة غير المذراء (المشرق ٣: ٣٨ -
 و ١١٣ و ٥١١) والصواب انهم اولاد حُلنا او كلابا من مريم المدعوة بالانجيل (يو ١٩:
 ٢٥) اخت ام يسوع (يريد نسيتها) . والسلام

حبيس بحيرة قدس

للأب هنري لامنس اليسوعي
 سرية بقلم المعلم رشيد الحوري الشرتوني (تابع لـ سبق)

١٨

على مسيرة يوم من الشمال التربوي لمدينة حمص مدينة صغيرة تدعى مصياد
 يقيم فيها ضمن سور قد تحوّر أكثره نحو الفين من الشيعة الاسماعيلية في منازل
 واطية حجارة منفصلة بعضها عن بعض بارض مملوءة من الأنقاض او حقول تبرز فيها
 بعض اشجار ضئيلة ونباتات حرقها الشمس . واما شوارعها فجميعها ضيقة كثيرة الاوساخ
 قلما يمر فيها انسان فهي من المدن التي ذارقتها الحياة والحركة من زمان طويل (١) غير
 انها لم تكن على الحالة التي ذكرنا في أيام الرواية التي نقص الان حوادثها بل انها
 وقتئذ كانت حاضرة الاسماعيليين ومقاماً لاميرهم (٢)

على ان هؤلاء الذين قبضوا من قبل مني سنة على ازمة السيادة المطلقة بلا منازع